

كهرباء بلا

أسلاك

د. مصطفى عطية جمعة



اسم العمل : كهرباء بلا أسلاك.
الكاتب : د. مصطفى عطية جمعة.
تصميم الغلاف : عبير فاروق.
مراجعة لغوية : سامح الكاتب.
رقم الإيداع : 2025/30807
الترقيم الدولي : 978-977-8868-73-9

(جميع الحقوق محفوظة للكاتب وأي انتهاك سيعرض صاحبه للمساءلة القانونية)
هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط، ولا يجوز إعادة طبعها أو نسخها أو نشرها
إلا بعد الحصول على إذن كتابي من الكاتب)



خالد عدلي

00201002688188

info.mothakf@gmail.com



9 789921 030228

سهراب بازمی

د. مصطفیٰ طباطبائی

كهرباء بلا أسلاك



لم يصدق العالم " مارين سولجاسيك " نفسه، وصاح فرحا:

- معقول! المصباح مضاء، الهوائيان يعملان.

قفز " مارين " في الهواء مرات، ثم عاد متأملا نتيجة التجربة التي

قضى السنين في إنجازها ومعه عدد من الباحثين في معمل معهد "

ماساشوستس" بالولايات المتحدة الأمريكية، كان الباحثون المساعدون له

قد انصرفوا، فيما بقي مارين بمفرده.

على صدى صوته، دخل سكرتيره " جاك " إلى المعمل، وهو

يتساءل:

- مستر سولجاسيك، ماذا بك؟ إن صوتك يُسمع

المارين في الشارع.

- ها، ها، لقد نجحت تجربتي، انظر.. انظر يا جاك.



تطلع جاك، كان ثمة جهاز معلق في سقف المعمل، به دائرة كهربائية على هيئة حلقة، وعلى بعد نصف متر، كان هناك مصدر للكهرباء موصل بالجهاز، قال جاك: ماذا حدث بالضبط؟

- انظر، المصباح في الغرفة يعمل بلا أسلاك، إنه مضاء دون أن يصله سلك.

بانّت المفاجأة على وجه جاك، لقد كان على دراية ببعض أبحاث مارين ولكنه لم يتوقع أن تكون هذه النتيجة، ربما لأن مارين قليل الكلام بطبيعته ؛ ومتكتما لما يقوم به من أبحاث. أنصت جاك لمارين الذي كان يتحدث بحماسة، وهو يطفئ الهوائيين:

- ها أنا قد أطفأت الهوائيين، لقد انطفأ النور.

- صحيح، نعم.

- سأصل الهوائيين، ثم انظر.



- آه، لقد أضيء المصباح، ولكن المصباح في السقف

معلق فقط، بدون توصيل سلوك إليه!

- ومع ذلك فهو مضاء.

حجظت عينا جاك، وفتح فمه، وهو يتمتم:

- هذا سحر أم خيال؟

- المسألة بسيطة يا عزيزي، لقد توصلت إلى اختراع

أساسه أن تصل الكهرباء للمصابيح دون أسلاك.

تساءل جاك وهو يرى المصباح المضاء:

- كيف؟

باندفاع، قال مارين:



- يا جاك، يا عزيزي، كنت أفكر، هل يمكن أن نركّز

المجالات المغناطيسية في تيار واحد، دون أن تتشتت؟ وكانت

هذه الفكرة.

- عزيزي مستر سولجاسيك، أعلم أنك عالم عظيم،

ولكن ما علاقة المجال المغناطيسي بالكهرباء؟

ضحك مارين وهو يتطلع إلى سكرتيره الإداري، وقال:

- دعني أوضح لك يا جاك، إن الجهاز المعلق في

سقف الغرفة هذا (وأشار بيده إلى السقف) عبارة عن هوائي

موصول بالمجال المغناطيسي بمصدر الكهرباء (القابس)

الموجود في الحائط، وليس بينهما أسلاك.

قال جاك وهو يتفحص:

- نعم، هذا صحيح، والمصباح مضاء.



- وانظر أيضا.

كان هناك ملف نحاسي أكبر قليلا، على الحائط، وعلى بعد عدة أمتار تم تعليق ملف نحاسي آخر، ومعه مصباح كهربائي. قال جاك:

- وماذا يحدث في هذه الدائرة أيضا؟

- أبدأ، سيضاء هذا المصباح متأثرا بالدائرة النحاسية

التي ستبث مجالا مغناطيسيا كهربيا ينير المصباح. انظر..

وبالفعل أضيء المصباح الثاني، وهذا ما جعل جاك يصرخ ويقفز

ويقول:

- ما هذا؟ إننا في ثورة جديدة من الوصلات الكهربائية.

ضحك مارين وهو يصحح كلام جاك:

- بل في ثورة من عدم الوصلات، إننا في عالم بلا

أسلاك.



أمام حشد من الصحفيين ومراسلي المحطات الفضائية، انهالت
التساؤلات على مارين ومساعديه من العلماء الشباب، وقد راح مارين
يشرح:

- إن نقل الكهرباء بدون أسلاك فكرة قديمة، إنها تعود
إلى القرن الثامن عشر، حيث لاحظ العلماء أن التيار
الكهربائي المتردد الذي يسري في سلك، يمكن أن يولّد تيار
كهربائيا في سلك آخر، من دون تلامس، وهذا لو كان السلك
قريبا جدا منه.

سأله البعض:

- كيف هذا؟ معقول أن يتم نقل الكهرباء دون أسلاك!؟

بهدوء سأله مارين:



- ألا يصل إلى ضوء أشعة الشمس عبر مسافة هائلة

من الفضاء والهواء؟

- بلى، إنه يصل.

- نفس الأمر، سنتنقل الكهرباء عبر موجات الهواء.

صاح أحد الشباب:

- ولكن الكهرباء قد تضر الناس إذا انتقلت بدون

أسلاك!

- أبدأ يا عزيزي، ألا تنتقل موجات الراديو وموجات

التلفاز عبر القنوات الفضائية؟ هذا ما نحلم به ونسعى إليه.

- أنا غير مصدق.

هتف به مارين وهو يقول:



- ادخل معي يا صديقي، وسترى بنفسك المصباح

مضاء دون أسلاك.

انبرى أحد طلاب الجامعة، وكان واضحا الجد عليه:

- ولكن لم تجب عن إمكانية تأثير هذه الموجات

الكهربائية على صحة الإنسان! إنها يمكن أن تضر الإنسان،

وخاصة أنها تسخن الجو المحيط بها.

تدخل أحد مساعدي مارين مجيبا:

- اسمح لي مستر مارين، لقد كنا ندرك هذا أثناء

عملنا، وأحب أن أعلمك أن هناك تجهيزين إضافيين، تم

زيادتهما على الهوائيين.

- وما وظيفة هذين التجهيزين؟

بحماسة أجاب المساعد:



_ إنهما يجعلان تغير المجال المغناطيسي حول الهوائي لا يتغير

إلا ببطء شديد، حتى لا يضر البشر حوله.

- وماذا أيضا؟

- كذلك، يخفّفان من حرارة الجو حول الهوائيين.

- رائع جدا.

عاد مارين إلى بيته، واستقبلته زوجته بسعادة غامرة، وهي تقول:

- كنت رائعا يا مارين، لقد شاهدت حوارك مع

الصحفيين في التلفاز، إنني في غاية السعادة لنجاح تجارك.

- أشكرك يا عزيزتي. أنا متعب جدا، وأريد أن أنام

بعمق.

- إذن، تناول عشاءك، ونم مبكرا يا زوجي الحبيب.

حين وضع مارين رأسه وأخذ للنوم، رأى فيما يرى النائم:



" أنه يعيش في منزل من طابقين، ألوان جدرانها تميل للبياض، وهو يتنقل بين أرجاء المنزل حاملا حاسوبه الشخصي (اللاب توب)، حيث يعمل به أينما أراد، دون أن يحتاج إلى توصيل للكهرباء أو شاحن كهربائي. وحين ذهب للمطبخ، كانت الثلاجة وغسالة الأطباق تعمل دون أسلاك، وفي الصالة، زوجته تشاهد التلفاز دون أسلاك. ما هذا؟ إنه لا يوجد سلك في أي جزء أو ركن من المنزل! ياه، لقد كانت الأسلاك عبئا كبيرا في حياتنا من قبل. صعد مارين إلى السطح ليجلس في ساحته، كان الهوائي الكبير، ناقل موجات الكهرباء مثبتا في ركن بالسطح، وحين حانت منه النقطة إلى الشارع، رأى مصابيح الشارع مضاءة، ولا أسلاك بين أعمدتها. يا لها من حياة جميلة، حياة بلا أسلاك "



دخل العالم الكبير " جون بيل " معمل مارين، وراح يتأمل الهوائيين المتقابلين في المعمل، كانت المسافة بينهما لا تزيد عن مترين، لقد قرأ بتمعن ما نشرته الصحف عن هذا الاختراع الجديد، وفضل أن يأتي بنفسه كي يراه بعينه، ويعاينه بنفسه، تجول في المعمل، ثم وجّه كلامه إلى مارين:

- عمل عظيم يا سيد سولجاسيك، ولكن ألا ترى أن

المصباح ينطفئ ثم يضيء؟

أجاب مارين:

- نعم، لأن التأثير المغناطيسي ضعيف.

- رغم أن المسافة بين الهوائيين متران فقط!

انتبه مارين على ملاحظة " بيل "، فقال:



- صحيح، ولو قصرت المسافة بينهما ستزيد الإضاءة

وتستمر، ياه، أنني أحلم أن نلغي الأسلاك من حياتنا كلها.

ابتسم " بيل " وقال مشجعا :

- إنه اختراع رائع، ولكنه في حاجة إلى المزيد من

التطوير.

صمت مارين، ثم قال:

- آه، إن الطريق لا يزال طويلا، كنت أظن أننا أنجزنا

الكثير.

- لا أنجزت الكثير، ووضعت الأساس، أما الباقي فهو

سهل، تكمله أنت ومن معك من العلماء، وكل من يدرس

فكرتك ويطبقها.



رفع مارين بصره، وتأمل المصباح الذي يشع ضوءا خافتا، كانت
صورة منزل المستقبل تتخايل أمام عينيه: منزل دون أسلاك، فقط
هوائي كبير أعلى المنزل، وسائر الأجهزة في المنزل تعمل تلقائيا، وفي
كل مكان، ومتى أراد.



دهاء العناكب



في الطبيعة الجميلة، بين الجبل والسهل، والغابة والحقل، والأشجار
السامقة والنباتات الصغيرة. نجد عالما نباتيا كبيرا، وأيضا آلاف
المخلوقات البديعة، بعضها يزحف، وآخر يطير، وثالث يقفز.

هناك في هذه الطبيعة الجميلة، نجد آلاف الزهور تملأ السهل
الرحب بين سفحي الجبل! بألوانها الزاهية، المتنوعة بين أبيض ناصع،
وأحمر قانٍ، وبنفسج شفاف، وأسود زاهٍ، إنها لوحة أبدعتها يد الخالق
سبحانه تعالى.

وهاهي أسراب النحل البري الذي يتخذ من شقوق الجبل الصخري
مساكن له، يأتي باحثا عن الرحيق ليحوّله في بطنه إلى عسل، ثم يملأ
به خلاياه الشمعية عندما يعود آخر النهار، ولكن هناك من العناكب ما
يخطط ويدبّر كي يكون النحل طعاما له، إنها العناكب، ذات الألوان
المتعددة، والأحجام المختلفة، والحيل التي لا تنتهي.



العنكبوت النسّاجة



في ركن بعيد، وبالقرب من سفح أحد الجبال، كانت الزهور المتفتحة؛ تنشر مزيجا من الروائح الزكية، والجو صحو، وأشعة الشمس المتلألئة على أوراق النباتات الخضراء، تبرز ألوان الزهور الجميلة، مما جعل أسراب النحل تتجه إليها.

وفي هدوء حذر، راحت أنثى العنكبوت تنسج شباكها المعتادة بين سيقان عدة زهور عالية، كانت خيوط الشباك رقيقة، داكنة اللون، تكاد لا تظهر بسبب ظلال الزهور والأوراق. وقفت العنكبوت تترقب نحلة



غافلة أو ضعيفة، تسقط في شباكها، فتحركت العنكبوت بجسدها الصغير الأسود، الذي يقترب من حجم الذبابة، لتختفي بين الخيوط الداكنة.

وهذا ما حدث، حيث اقتربت نحلةٌ من شباك العنكبوت، كانت النحلة تطير حائرة بين الزهور، ويبدو أنها تعبت من حرارة الشمس، فأثرت أن تهبط قليلا إلى الظل، وسرعان ما تعثرت عندما علقت قدمها في أحد خيوط العنكبوت، انتهت النحلة إلى الأمر، فسعت إلى التخلص من الخيط في قدمها، ولكن أنثى العنكبوت تحركت من مخبئها، وأسرعت بلف المزيد من الخيوط الرمادية الغامقة حول جسد النحلة، التي تجاهد دون فائدة في الفكك، أفرغت العنكبوت النسّاجة السم في جسد النحلة، ليذيب ما في بطن النحلة من أحشاء، ثم راحت تجرّها كي تمتص عصارة جسد النحلة في تلذذ، فقد نجحت خطتها التي قضت الساعات بعدها، وتتسج خيوطها.



عنكبوت الشبكة الذهبية



تحت سفح أحد جبال جزيرة السحلب التايوانية، انتصبت أشجار الغابة عالية، بعيدة عن السهل المتسع، حيث تلاصقت أغصان الأشجار، وتلاقت أوراقها الخضراء. كانت أنثى عنكبوت الشبكة الذهبية تسرع العمل في مد خيوط شبكتها التي تصل ما بين الأغصان، كانت الخيوط ذهبية اللون، جميلة التشكيل، مكونة دائرة قطرها يزيد على المتر، بخيوط متينة صعبة التمزق. كانت العنكبوت كبيرة الحجم، يشبه



حجمها حجم كف الإنسان، كما أن ألوانها براقّة زاهية، وهذا ما يجعل من الصعب عليها أن تتخفى، ففضلت العنكبوت أن تقف جامدة، صلبة في مكانها، بين الخيوط الذهبية، لأنها تدرك أن النحل، وهو طعامها المفضل، سيظنّها زهرة من الزهور جميلة اللون وسيأتي إليها كي يمتص رحيقها.

وهذا ما حدث بالفعل، فقد رأت نحلة من بعيد ألوانا جميلة لامعة، فأسرعت إليها، ظنت أنها زهرة كبيرة الحجم، فقد ظهرت في عيني النحلة كأنها نقاط مضيئة، محاطة بشرائط ملونة، بزخرفة بارعة، والغريب أن هذا الزخارف الملونة، تكسو جسد العنكبوت الأسود.

عندما اقتربت النحلة، بانَ لها تفاصيل جسد العنكبوت، وظهر السواد واضحا خلف الألوان المزخرفة، أدركت النحلة الخدعة، فأرادت الفكّك من عدوتها اللدود أنثى العنكبوت، ولكنها نسيت أن الزخارف التي رأتها من بعيد، كانت محاطة بشبكة خيوط ذهبية ؛ جذبت -



أيضا - نظر النحلة بتألئها، وسرعان ما تعلقت النحلة بهذه الخيوط،
فيما تحركت العنكبوت بسرعة نحو الفريسة المسكينة، كي تحيطها
بأرجلها الثمانية، ومن ثم تمتص عصارتها وتترك بقايا جسدها.
في الوقت نفسه، علق خفاش في أحد الخيوط الذهبية، فتركته
العنكبوت، فلا قدرة لها أمام جسده القوي، وبالفعل خرج الخفاش من
الشبكة الذهبية، بعدما استطاع أن يتخلص من الخيط السميك.



الضفدع آكل العناكب



على الجانب الآخر، تقف ضفدعة منتظرة ظهور عنكبوت الشبكة الذهبية، إنها تعشق هذا العنكبوت كبير الحجم، ذا الجسد الطري، الذي يمتلئ لحما، ومن اليسير هضمه، لقد ظلت الضفدعة مترقبة أن ينتهي العنكبوت من امتصاص فريسته، حتى انقضت الضفدعة عليه، فقد ابتعد العنكبوت عن خيوطه الذهبية، ليحلو له تناول وجبته الشهية من



النحل، وسرعان ما قفزت الضفدعة متلقفة العنكبوت الذي فوجئ

بأنياها تنغرس في جسده، ثم تسحبه إلى الأرض كي تلتهمه.



العنكبوت الشائك



لا يحلو لهذا العنكبوت اصطياد فرائسه إلا ليلا، ورغم أن حجمه يشابه حجم زهرة اللوتس، إلا أنه ذكي في حيلته. فما إن يشتد ظلام الليل، إلا ويكون هذا العنكبوت قد أعد شبكة خيوطه السوداء اللون وثبتها بين الأشجار، ومن ثم وقف في وسط الخيوط، معلنا عن نفسه، كأنه يقول للنحل وكل الحشرات الباحثة عن الرحيق أو الضوء: " هذا أنا ؛ لأن جسده ببساطة مزدان بشرائط ملونة صفراء، ذات إشعاع



ضوئي، تلمع واضحة زاهية في الظلام الدامس. وهذا ما يجعل الحشرات تطمئن إلى أنه زهرة لامعة تحت ضوء القمر، وحين تقترب منه، تجد خيوط شبكته السوداء قد أحاطت بها، ثم الزهرة الزائفة تتحرك قافزة نحوها، ومن ثم تنقض العنكبوت على الفريسة تحقنها بالسم، ثم تمتص ما في جسدها من رحيق وسوائل.

لقد لمح أحد الطيور هذا العنكبوت بألوانه الزاهية، فراح يقترب منه بهدوء، معدا خطة كي يضعه في فمه مرة واحدة، وحين انقض الطير ذو المنقار الصغير على جسد العنكبوت الشائك، فوجئ أن جلد جسد هذا العنكبوت عبارة عن قشرة صلبة صعبة القضم، وحين حرّك الطائر لسانه على الجسد، وجد أشواكاً نائثة حادة على جانبي جسد العنكبوت، جرحت لسانه، وأذت أسنانه.



عنكبوت السرطان



أرادت أنثى عنكبوت السرطان -التي تعيش في غابات قارة استراليا - أن تتقي شر أعدائها من الطيور التي تنربص بها، وأيضاً تحصل على طعامها، إنها ذات جسد صغير يشبه جسد البعوضة، ولكنها ذات مقدرة على تغيير لون جسدها في الحال. إن حيلتها بسيطة ؛ أن تقف وسط الزهرة، ثم تغيّر لون جسمها إلى لون يشابه لون الزهرة، أو لون حبوب اللقاح في الزهرة. وتظل ثابتة في مكانها، حتى تأتي النحلة، منخدعة بها، وتكون نهاية النحلة بين أوراق الزهرة.



فكما تدبر العناكب حيلة كثيرة لتسقط فرائسها من النحل سريع
الطيران، فإنها لا تدري أنها ستكون فريسة لطيور أو ضفادع أخرى.





¹ (عن حيا الفنان الروسي بورييس بريجنكوف، ولد عام 1935)

- قال بوريس بريجنكوف لزوجته:
- تخيلي يا " إيجا "، إنني صرت أرى اللوحات بصعوبة.
- أجابت الزوجة التي كانت تحتسي الشاي بجواره:
- عجيب هذا، لقد كنتُ أظن الأمر مجرد مرض في عينيك.
- يظهر أن الأمر أخطر مما كنا نظن. لقد بتُّ غير قادر على تمييز الألوان.
- قالت الزوجة مطمئنة له:
- عموماً، أي مرض له علاج، وأنت لا زلت في سن صغيرة، فلا تقلق، فعيناك لا تزالان بخير.
- سأذهب إلى الطبيب مرة أخرى.



تفحص الطبيب عيني " بوريس " بصمت، وظل يجوب في كل

عين بجهازه الضوئي، ثم عاد إلى مقعده، وهو يقول:

- لا تقلق يا بوريس العزيز، عليك أن تسير

على هذا الدواء.

بوريس بحيرة:

- صارحني يا دكتور، ماذا بي؟

قال الطبيب بملامح جامدة:

- هذا الدواء سيحسن عينيك كثيرًا، وسأقوم

بتفصيل نظارة طبية لك، ستساعدك على الرؤية.

قالت الزوجة للطبيب:

- هل يستطيع الرسم الآن؟

أجاب الطبيب:



- أوصيه أن يستريح هذه الفترة، وعليه أن
يترك الرسم جانباً، حتى تتحسن عيناه والهوايات
كثيرة.

هتف " بوريس " بصوت قوي:

- الرسم ليس مجرد هواية لي يا دكتور، إنني
أحبه أعشقه بقوة منذ صغري، ولن أستطيع أن أعيش
بدونه، علاوة على أنه مهنتي الأساسية.

هدأ الطبيب من انفعاله، وقال:

- يا عزيزي، إنها مسألة وقت، وستعود بعدها
إلى هوايتك المحببة.

ثم أردف:

- الآن، استعد حتى آخذ مقاس النظارة لك.



استسلم " بوريس " للطبيب ومساعدته، وهما يقومان بإعداد النظارة له، كانت هذه أول نظارة يرتديها في حياته، شعر كأنها ستفصله عن الطبيعة الجميلة التي يحبها، لقد اعتاد أن يرى كل شيء من خلال عينيه مباشرة، وليس عبر زجاج النظارة.

وضع الطبيب النظارة على عينيه، وقال له:

- مبارك عليك النظارة. هل تعلم أن شكاك

وسيم وأنت ترتديها؟

- شكرًا لك يا دكتور.

- عمومًا، تعود عليها، وستساعدك في القراءة

وقضاء حاجاتك بسهولة.

- والأهم من هذا أنها ستحرمني من الرسم.

عندما خرج بوريس مع زوجته، قال لها وهما في الطريق:



- إنني شعر بالقلق الشديد من كلام الطبيب،

وأحس أنه يخفي الكثير عن حالتي.

قالت إليجا:

دائمًا أنت تقلق نفسك بدون داعٍ، لقد أكد لك على أن عينيك

بخير.



سارت حياة بوريس على وتيرة واحدة، يستيقظ في الصباح،

فيتناول فطوره، ثم يشرع في مطالعة الصحف، على مقعد في

الشرفة.

ويحرص ألا يقترب من مرسمه، حتى لا يسترجع ذكرياته

الجميلة فيه.

أقبلت زوجته إليجا مرة وهي تقول:



- لقد اتصلت مديرة معرض الفنون في
موسكو.

- لماذا يا إيلجا؟

- تتساءل: متى سيكون معرضك الجديد؟

- أي معرض؟

- أنسيت يا " بوريس " أنك كنت تعد لوحات

معرض جديد؟

- نعم نسيت.

اقتربت الزوجة من زوجها، ولمست يديه بحنان وهي تقول:

- بوريس، أرجو ألا يكون مرض عينيك قد

جعلك تئأس.

أمسك يديها وقال:



- لقد يَأَسْتُ بالفعل.

- يَأَسْتُ يا بوريس؟ كيف وأنت الذي كنت

تقول دائماً: إن الحياة بلا أمل لا تساوي شيئاً.

قال بوريس وهو يعود لجريته:

- كنت أقول ذلك بالفعل عندما كانت حواسي

كاملة، أما الآن فأهم ما لدى الفنان قد فقدته: العينين.

- عموماً، نقوم بعمل المعرض، حتى تتحسن

عينك.

- افعلي ما تشائين، ولكنني لن أحضر افتتاح

المعرض.

قفزت دمعة من عيني زوجته وهي تقول:

- لن تحضر افتتاح المعرض! لماذا؟



- لأنه سيكون معرضي الأخير.



تم افتتاح معرض بوريس، وتسابقت الصحف في الإشادة
بجمال لوحاته، وحينما حملت " إليجا " عدة صحف كي تريها
لزوجها، قائلة:

- انظر يا زوجي الحبيب، ماذا تقول عنك

الصحف؟

- وماذا تقول؟

- إنها تصف لوحاتك بأنها رائعة وجميلة جدًا.

- إذن، هي تمدح اللوحات، ولا تمدح

صاحبها. والآن، أنا لن أنتج لوحات جديدة.

قالت الزوجة: أنت متشائم للغاية.



بوريس: الحقيقة المؤلمة أنني صرت ضعيف جداً في النظر، إنني لا أكاد أرى الأشياء القريبة، لقد خدعني الطبيب.

الزوجة: ماذا تقول؟ ألم يقل لنا الطبيب أنك ستتحسن؟

- ولكنني أسوء يوماً بعد يوم.

- سنذهب له ثانية.



عندما دخل بوريس وإليجا إلى عيادة الطبيب، قال بوريس

بانفعال شديد:

- لقد خدعتنا يا دكتور.

بهدهوء أجاب الطبيب: ماذا حدث؟

- إنني لا أكاد أرى تقريباً.

قام الطبيب من مقعده واقترب منه:



- اسمعني يا بوريس، إننا أصدقاء منذ زمن

بعيد، ولم أشأ أن أقول لك الحقيقة كاملة،

قاطعته بوريس: وما هي الحقيقة الكاملة؟

- الحقيقة أنك مصاب بمرض اسمه تآكل

القرنية، والطب لا يزال الآن لم يصل إلى علاج لهذا

المرض.

قام بوريس من مكانه مبهورًا: هل تقصد أنني سأفقد نظري إلى

الأبد.

الطبيب: ربما يتوصل الأطباء إلى علاج جديد.

قام بوريس من مكانه هازئًا: علاج، إنه العمى، هل عرفت يا

إليجا، إنه العمى الكامل، لقد مت وأنا أحي.

ثم راح يتحسس حوله، وهو يصرخ:



- أريد أن أخرج من هنا، لقد كرهت الحياة

كلها.

أمسكت إيلجا زوجها، وراحت تقوده خارجاً، بينما الطبيب يرفع

صوته:

-انتظرا، المسألة...



كانت الأيام التالية شديدة الألم على بوريس، لقد ازداد انعزالاً

في غرفته، وخاصم الناس جميعاً، ولم تفلح محاولات الزوجة

المخلصة أن تخرجه من وحدته القاتلة. كان يقول لها دائماً:

- الدنيا كلها سواد حولي، فماذا يفيد لو أنني

تركت الغرفة أو البيت أو البلد كلها، لن أرى إلا

السواد.



وكانت ترد عليه قائلة:

- إنك ترى الحياة بروح الرسام، عش كإنسان عادي.

- لا أستطيع، لأن الرسم في دمي، والحياة لوحة كبيرة أتأمل فيها كل يوم.



جاء الطبيب لزيارة مريضه، فقالت له " إليجا ":

- إنه لا يخرج من غرفته أبداً، إنني أخشى أن يحطم نفسه بيديه.

- وهذا هو السبب الذي أخفيت مرضه عنه.

ثم واصل حديثه:

- دعيني أقابله، ربما أفعل شيئاً معه.



طرق الطبيب باب الغرفة، فسمع صوت بوريس وهو يقول:

- ادخلي يا إيلجا، لماذا تطرقين الباب؟

دخل الطبيب، وهو يقول ضاحكاً:

- لست إيلجا، أنا صديقك القديم وطبيبك.

ابتسم بوريس بوهن، وهو يقول:

- لم يفلح طبك في علاجي.

- لماذا أنت يائس يا بوريس؟

- سؤال عجيب، ولماذا يكون لدي أمل؟

- لأنك لو كنت فقدت إحدى حواسك، ولكن

باقي حواسك لم تفقدها.

سخر بوريس منه قائلاً:



راح بوريس يعيد كلام الطبيب على نفسه مرات ومرات، وهو

يفكر، وبعد أيام قال لزوجته مبتسماً:

- لقد قررت أن أقوم بعمل جديد؟

الزوجة بفرح: صحيح يا بوريس، عمل جديد، ما هو هل

ستملي مقالاتك عليّ أو تريدني أقرأ لك؟

بوريس: لا أريدك أن تعدي لي مرسمي، وضعي خاصة باليت

الألوان ولوحة قماشية سأبدأ في الرسم.

تعجبت الزوجة: ترسم وأنت... كيف؟

بوريس: وأنا أعمى، إذا كنت فقدت بصري فأنا لم أفقد يدي، إن

يدي بهما الكثير من الخبرة في التلوين والرسم، ولا زلت أحتفظ

بكثير من المشاهد الطبيعية الجميلة في نفسي، ولم تغادر مخيلتي.

الزوجة: ولكن كيف ستتعرف على الألوان؟



- المسألة بسيطة، عن طريقك، أنسيت أنك

كنت تساعديني من قبل. هيا يا زوجتي العزيزة.

أسرعت الزوجة غير المصدقة، وأعدت الرسم، ثم قالت:

- اللوحة جاهزة يا بوريس.

نهض بوريس من مكانه، وراح يتحسس اللوحة، ثم أمسك بالقلم

الرصاص من يد زوجته، وراح يخطط على القاش بهدوء ولكن

بخبرة عالية، وهو يقول:

- إليجا ساعديني، هل هذا الخط مناسب؟

فتجيبه: أجل، كأنك ترسم في الماضي.

ظل بوريس يرسم متخيلاً الأبعاد، والزوجة توجهه، وهو يضحك ثم

قال:

- الآن نستريح، وبعد قليل نبدأ في التلوين.



عقب ساعتين من الراحة، عاد بوريس إلى مرسمه ومعه

زوجته، قال:

- ماذا رسمت يا إيلجا؟

- إنك رسمت أشجارًا ونهرًا وسماء.

- إذن أعدي لي على الباليت ألوان الأخضر

والبنّي والأزرق والأصفر، وابدئي في وضع كل لون

في مكانه كما سأقول لك.

أعدت الزوجة ما طلب، حيث راح يوجهها بقوله:

- لجذع الشجرة هاتي اللون البني، ثم قرّبي

يدي من الجذع، وسأقوم بالتلوين.

وراح يلون الجذع بدقة والزوجة تراقبه بحيرة، كانت أنامله تلون

بخفة، وتارة يسألها عن المسافة وهي تجيبه.



مرت أيام وأسابيع، وحينما جاء الطبيب لزيارته، اصطحبه

بوريس إلى مرسمه وهو يقول:

- لك كل الشكر يا صديقي الطبيب.

- على ماذا؟

- لأنك ساعدتني على العودة من جديد.

الطبيب: أنت صديقي، وذو موهبة كبير في الرسم، وإن ما فعلته

يعتبر معجزة كبيرة.

بوريس بفرح:

- لقد قررت أن أقوم بعمل معرض بعد أشهر.

- بهذه السرعة؟!؟



- نعم، فإنني أنجزت لوحات متعددة، وقد زارني بعض

النقاد والصحفيين وأبدوا إعجابهم الكبير، واعتبروا أن ما

أنجزته يتم مسيرتي الفنية الماضية.



قال الطبيب متأماً اللوحات:

- بالفعل، إن أرى في لوحاتك الكثير من

الإبداع، وكأنك صرت أكثر خبرة من صورك

السابقة.

- نعم، لأنني الآن، أتأمل كثيراً ما اختزننته

في أعماقي من مشاهد، ورحت أسترجعه كلما خلوت

بنفسي.

شد الطبيب على يد بوريس وهو يقول:



- دعني أقول لك: إنك دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، لقد

صنعت معجزة حقيقية.



الرازي ومستشفى بغداد



من هو أبو بكر الرازي؟

(أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي عالم وطبيب. (ح. 250 هـ/864 م - 5 شعبان 311هـ/19 نوفمبر 923 م)، ولد في مدينة الري في خراسان. وهو أحد أعظم أطباء الإنسانية، حيث ألف كتاب الحاوي في الطب كان يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925م وظل المرجع الرئيس في أوروبا لمدة 400 عام بعد ذلك التاريخ درس الرياضيات والطب والفلسفة والفلك والكيمياء والمنطق والأدب.

اشتهر الرازي في الري، وجاب البلاد وعمل رئيسا لمستشفى، له الكثير من الرسائل في شتى مجالات الأمراض وكتب في كل فروع الطب والمعرفة في ذلك العصر، وقد ترجم بعضها إلى اللاتينية لتستمر المراجع الرئيسية في الطب حتى القرن السابع عشر، ومن أعظم كتبه "تاريخ الطب" وكتاب "المنصور" في الطب وكتاب



"الأدوية المفردة" الذي يتضمن الوصف الدقيق لتشريح أعضاء الجسم. وهو أول من ابتكر خيوط الجراحة، وصنع المراهم، وله مؤلفات في الصيدلة ساهمت في تقدم علم العقاقير. وله 200 كتاب ومقال في مختلف جوانب العلوم)



حين دخل خليفة المسلمين " المعتضد بالله " مجلسه، نسي أن يلقي السلام على من حوله من رجال البلاط، ومستشاريه، واقتعد كرسيه، فقد كان عقله مشغولاً بأمر جلل، فراح يتأمل سقف ساحة العرش، فيما خيم الصمت على الحاضرين، انتظارا لقول الخليفة، الذي طال سكوته، مما دعا وزيره للتدخل:

- أسعد الله وقتك يا خليفة المسلمين. ماذا يشغل مولانا؟

انتبه الخليفة على صوت وزيره، فابتسم، وأسرع بالرد:



- أفكر في بناء بيمارستان (مستشفى) كبير يطبب الناس

جميعا.

- مولاي، الأمر ميسر ، فقط أعطنا الإشارة، ولك السمع

والطاعة، وسيتم بناء البيمارستان في أقصر وقت.

ابتسم الخليفة، وهتف موضحا:

- ياوزيرى، ما كان قصدي هذا، أريد أن أنتخب أكفأ

الأطباء، وأجعلهم في مستشفى ضمن رعايتنا الكريمة، لا أريد

المبنى فقط، أريد المهارة والكفاءة أولا.

- فهتمت مرادك يا مولانا، أنتم تريدون نخبة أطباء

دولتكم متجمعين في حاضرتكم بغداد..

- نعم.. نعم، لذا أمركم الآن، أن ترشحوا لنا أسماء

الأطباء الأكفاء، وتستشيروا في ذلك أهل العلم والطب والحكمة.



قدّم الوزير " عبيد الله بن سليمان " للخليفة المعتضد قائمة
الأطباء الماهرين ؛ التي وقع عليها اختيار اللجنة المكلفة، والخليفة
يسمع الاسم ونبذة عن كل طبيب، وسرعان ما قاطع وزيره قائلاً:

- القائمة طويلة يا عبيد الله، هلا اختصرتها، لقد
سمعت الآن عشرات الأسماء من الأطباء... أريد أن تنتخب من
هؤلاء أفضل خمسين طبيبا، على أن يكون باتفاق من تشاورهم من
أهل العلم.

طوى الوزير أوراقه، وقد أدرك مراد الخليفة، أنه يريد الأمر
وليس الماهر..، يا لها من مهمة صعبة! فالقائمة تحوي المئات.



بعد عدة أيام، كان الوزير يقف أمام الخليفة بعد أن قدّم إليه
القائمة التي تم اختيارها، وسرعان ما نزلت عينه على الاسم
الأخير المتمم للخمسين. استرعى انتباهه الاسم واللقب: " أبو بكر



الرازي "، عرف " المعتضد " أسماء كثير من الأطباء المذكورين،
انتظر الوزير إشراقة وجه الخليفة بالموافقة، ولكن الأخير رفع رأسه
وهو يقول:

- ماذا عن أبي بكر الرازي هذا؟ لم أسمع به من قبل!
فهؤلاء المخترعون أعرفهم جميعهم تقريبا، عدا الرازي.
تعجب الوزير، قائلا:

- إنه من أمهر الأطباء، ويعيش في مدينة الري
- ومن رشحه لكم؟
- أحد الصيادلة، في البيمارستان العضدي، قال إنه
طبيب ماهر، ذكي.

- إذن، أريد أن تختصر هؤلاء الخمسين في عشرة فقط.
- عشرة فقط!



- نعم يا وزيرى، أريد أمهر الماهرين.

- أمرك مولاي، سأعود إلى جماعة الأطباء

المخضرمين، ونحاول أن ننتخب أفضل العشرة.



مضت أيام، وحين جاء الوزير بأسماء العشرة، بادر الخليفة

معلقاً:

- لقد استغرقت وقتاً أطول يا عبيد الله.

ابتسم الوزير، وهو يتمتم بخجل:

- المعذرة يا مولاي، فقد كانت المفاضلة أصعب.

تطلع الخليفة إلى القائمة، أبو بكر الرازي يحتل آخر الأسماء،

ابتسم:

- الرازي ثانية، يبدو أنكم معجبون بهذا الطبيب!



هتف الوزير :

- مولاي، لقد شاركت كبير الصيادلة في البيمارستان
العضدي، وهو الذي يشاركني في الاختيار.

تطلع الخليفة إلى الصيدلي، كان شيخا مهيب الطلعة، أغرق
البياض لحيته، وصغرت عيناه، وإن اتقدت ذكاءً ولماحية، وتبدو
الحكمة في تجاعيد وجهه، وعندما تكلم كان واضح الصوت،
عميق النبرة:

الخليفة: لماذا رشّحت الرازي أيها الصيدلي؟

- مولانا الخليفة المعتضد، يسّر الله أمرك، وجعلك مقبلا للدين،
حاميا للعلم والعلماء. الرازي رجل من أهل الري، تعلّم الطب في
الثلاثين من عمره. فوجئت به - ذات يوم - يقف عند البيمارستان
العضدي..، تأمل العقاقير، وراح يسألني عن كل شيء، وفي اليوم



التالي، يأتيني ويريد المزيد، وعندما أسأله عن علم أمس أجده قد وعاه، وقضى ليله يغترف من الكتب، ويدرس نباتات العلاج.

ابتسم الخليفة:

- إذن هو صيدلي وليس بطبيب.
- مولاي، معرفة الدواء مفتاح العلاج، وتشخيص الداء يحدد الدواء، وقد بدأ الرازي في ملازمة أطباء بغداد، وتعلّم منهم وعلموه، وهم معنا الآن.

صمت الخليفة متفكراً، ثم تطلع إلى وزيره:

- أريد أن تختصروا هذا القائمة إلى ثلاثة، أريد ثلاثة فقط.

نظر الوزير إلى الأطباء، وتمتم بعضهم: يا لها من مهمة صعبة ، فهؤلاء هم نخبة النخبة.



الوزير: هل لنا أن نتعرف رأيكم الكريم في سبب هذا التحديد؟

الخليفة باسمًا: ها أنا الآن أعلن عن نيتي، أريد طبيبًا أعهد إليه ببناء المستشفى.

الوزير: المهندس والبناءون هم الذين يبنون المستشفى، وليس الطبيب.

الخليفة: وهذا هو الجديد، عندما يبني الطبيب المستشفى فهو يراعي ما يخدم مرضاه، ويحقق الصحة لهم، ويوجه البناءين إلى ما يريد.

الوزير: إذن، فليسمح مولانا أن نجتمع، ونتباحث، ونحدد المطلوبين الثلاثة.

انتصب الخليفة واقفا من سريره، ونزل درجات السلم، وراح يجول بين الأطباء والحاشية، ممسكا القائمة، وهو يقول:



- هيا، اذهبوا إلى إحدى غرف القصر، وآتوني
بالأسماء الثلاثة الآن، لا أريد إضاعة الوقت.



- الرازي أيضا، على رأس القائمة، يا لها من مفارقة!

كان هذا تعليق الخليفة، في حين وقف شيوخ أطباء بغداد،
خلف الوزير، فواصل الخليفة كلامه:

- والآن أريد منكم، أن ترشحوا لي - الآن - واحدا
يشرف على بناء المستشفى، ويكون مديرا له، ومعلما لغيره.

- واحد فقط.!!

- نعم..، أما الباقون فهم الأطباء المعالجون
والمساعدون له، أريده أن يشرف على البناء والرعاية والتعليم؟



تلاقت عيونهم، كانت نظرات الخليفة تعني جوابا سريعا
وحاسما، التقوا حول بعضهم، ثم استدار كبيرهم إلى الأمير..،
وهتف: " أبو بكر الرازي " يا مولانا، هو أفضلنا وأمهرنا.

- أحضروا أبا بكر الرازي إلى مجلسنا.



تفاجأ الخليفة برجل مهيب الطلعة، كبير الرأس، عريض
الجسم، فارع الطول، يرتدي الثياب الفخمة، تأمله الخليفة، ورد
السلام عليه ببطء:

- أهلا يا أبا بكر الرازي، أيها الطبيب الشهير.

رد الرازي بأدب:

- شرفت بالحضور إلى بلاطكم الكريم، وأشكركم على

ما تفضلتم بدعوتي.



قال الخليفة وقد أعجب بوقاره الدال على علم غزير:

- لقد تم اختيارك يا أبا بكر، لتشرف على بناء مستشفى جديد، أريد أفضل البناء، وأحدث الأدوات، وأمهر الأطباء، وعلاج مختلف الأمراض.

- الشكر لله أولاً على هذه النعمة، ولكم على هذه الثقة.

- خيراً، إذن أخبرنا عم ستفعله يا رازي؟

تمهل الرازي، قبل أن يجيب:

- مولاي الخليفة، هذا أفضل عمل، فنحن نفتقد

لمستشفى كبير، يعالج من صعب تشخيصه، ويعلم الطبيب الجديد

النابه. وأرى قبل أن نبني المستشفى أن نختار المكان، واترك لي

اختيار المكان يا مولاي.

تعجب الحاضرون، ومنهم الخليفة، الذي تساءل:



- لا توجد مشكلة في المكان، فما أكثر الأمكنة

الفارغة!

- مولاي، ليست المشكلة في الموضوع، بل في نقاء

الجو، فاسمح لي يا مولاي بانتقاء المكان الأنقى هواء، والأنظف

بيئة، فالبيئة من تمام الشفاء، وسبب للوقاية من المرض.

ابتسم الجميع لحسن الرد، وقال الخليفة:

- إذن، اذهب واختر الموضوع الذي تريد.



بعد عدة أيام، استأذن الرازي لدخول مجلس الخليفة، ممسكا

بكيس محكم الإغلاق، فبادره الخليفة:

- أخبرنا عما عندك يا أبا بكر.

- كل خير مولاي، لقد اخترت موضوع المستشفى.



- حسناً، أين هو؟

- في شمال بغداد.

تدخل أحد الحاضرين بقوله:

- إنه موضع بعيد عن الناس والعمران يا مولاي، قريب

من الحقول وانحساءة نهر دجلة.

رد الرازي: وهذا ما نريده، وكان سببا لاختيارنا.

الخليفة: لماذا يا رازي؟

- لقد أخبرتكم يا مولاي، أن البيئة من تمام الشفاء،

وسبب للوقاية، فلا يمكن أن نضع المستشفى في مكان ملوث.

قال الوزير الذي كان يراقب الموقف:

- وماذا فعلت يا أبا بكر كي تعرف أن هذا المكان هو

الأنسب والأنتقى؟



- لقد أحضرت أربعة فتيان، وأعطيتهم قطعة من اللحم الطازج، وطلبت منهم أن يتفرقوا في أنحاء بغداد أربعة أيام، ويخبروني بالمكان الذي تأخر فيه نتن اللحم وفساده، لو تركناه في الهواء الطلق. فكان الموضع هو شمال بغداد. وهذه قطع اللحم.

أخرج الرازي من الكيس قطعة من اللحم، فشاهد الحاضرون أنها متنوعة في النتن، إلا واحدة كانت أقل فسادا، وتأخر ننتها.

انبهر الحاضرون بما فعل الرازي، فقال الخليفة مثنيا:

- لله أنت يا أبا بكر! كم أنا سعيد بما فعلت! والآن، أريد منك أن تشرف على بناء المستشفى، وتضع نظامه في التطبيب.



انتصب مستشفى بغداد، وتولى الرازي إدارته، واستعان في ذلك بالأطباء الخمسين المختارين، مما جعله مقصدا للناس في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية.

وحين قرر الخليفة المعتضد أن يزور المستشفى، اقترح عليه رجاله أن يرتبوا الزيارة، فيتم منع الناس من المداواة في هذا اليوم إلا أن الخليفة أبقى، وقرر أن يذهب بنفسه لي شاهد الحال على الطبيعة.

حين دخل الخليفة المستشفى، وتفقد أقسامه، راعه أن لكل مريض قسم، فهناك أقسام للعيون والكسور والبطون.. إلخ، وحين استفسر عن مكان الرازي، أشاروا إلى أنه على رأس حلقة العلم، وعليه أن يدخل إليها.

كم كانت دهشة الخليفة، أن وجد الرازي قد وضع نظاما فريدا للتعليم، فهو يجلس وأمامه الأطباء، ثم تلاميذهم، ثم تلاميذ



تلاميذهم، وعلى المريض أن يبدأ بآخر الحلقة ويسأل عن مرضه،
فإذا لم يجد جواباً ينتقل من التلميذ إلى أستاذه، فإذا فشل الأستاذ
في تشخيص المرض، ينقله لأستاذه، وهكذا، حتى يصل المريض
ذو المرض الشديد إلى الرازي كبير الأطباء ليجد عنده الشفاء بإذن
الله.



الرازي وأمير بلاد الصفد



- الحل الوحيد مولاي الأمير هو استدعاء الطبيب أبي

بكر الرازي.

انتبه أمير بلاد الصغد في منطقة ما وراء نهري " جيحون
وسيحون " في وسط آسيا، إلى مقولة وزيره، فأصدر آهة كبيرة،
وهو يقول:

- ومن هو أبو بكر الرازي الذي سيعالج ما فشل فيه

الأطباء؟

ردّ الوزير بعطف:

- مولاي، لقد طافت شهرته أرجاء الدنيا، والكل يحكي

عن مهارته.

ابتسم الأمير، وهو يتحسس مفاصل ركبتيه، ويقول:

- وهكذا قلتم عن الأطباء الذين سبقوه، وجاؤوا،

ووضعوا عقاقيرهم على آلامي... دون جدوى.



- لن نخسر شيئاً مولاي، وقد سمعنا الكثير والكثير عن
مهارة الرازي الطبية، وقدرته على علاج مختلف الأمراض، وهو
الذي بنى بیمارستان بغداد، ويرأس الأطباء فيه الآن.

ضحك الأمير، وأراد القيام من موضعه، ثم عدل عن ذلك،
مواصلاتأوهاته من آلام المفاصل التي أعجزته عن الحركة مفردا،
فكان يجوس في قصره مستندا على خادمه. تتهد الأمير وقال:

- يا لها من مسافة كبيرة بيننا وبينه!

- لا تقلق مولاي، إنه الآن في منطقة " مرو " بفارس،
وقد أرسلت في استدعائه، ووعده بالمال الوفير وقد وافق، عندما
وافيناه بشرح حالتكم.



وقف الرازي على ضفة نهر " سيحون " ومعه خادمه، وتأمل
اتساع مجراه، وعمق مياهه، وقد امتدت الكتبان الرملية على مرمى
بصره، والنهر يخترقها في هدوء، فقال لرفقائه من جند الأمير:

- يا له من نهر! ويا لها من أرض!

ردّ رئيس الجند بقوله:

- أهلا بك سيدي الطبيب في بلادنا، ستسعد أي سعادة
في ضيافتنا، سنعبّر النهر الآن، ومن ثم ستشرف بلادنا بقدمكم.
- لقد قطعْتُ أميالا طويلة متتقلا بين قفار وخضار...
وعندما أمرّ بصحراء أتخيّل أن لا خضرة بعد رمالها الصفراء، ثم
تفاجئني مروج خضراء، فأقول لا رمال بعدها، ولكنني لم أتوقع
أنني سأعبر نهرا بهذا الاتساع والعمق.
- إذن هيا بنا للعبور قبل غروب الشمس.



تحرك الركب نحو النهر، وما إن وصلوا إلى ضفته، حتى شاهد " الرازي " قاربا صغيرا راسيا عند الشاطئ، والجنود يدفعونه إليه، فتوقف صارخا:

- أنتم مجانين! هذا القارب الصغير لعبور هذا النهر العظيم!؟

- لا شيء فيه سيدي، إننا اعتدنا على ركوبه، وقد جننا فيه إلى هنا.

- أبدا، لا يمكن أن أركب هذا القارب.

تقدم رئيس الجند مبتسما وهو يقول:

- لا تخف أيها الطبيب الكبير، لا يلائم هذا النهر الكبير إلا هذا القارب الصغير، فهو خفيف على مياهه، سريع في حركته.

عاد " الرازي " أدراجه، مصمما على رأيه وهو يقول:



- لن أعبّر إلا بقارب كبير أو أعود من حيث أتيت.

بتعجب، نظر الجنود لبعضهم، فلا يوجد قارب غيره، وهم يعلمون آلام أميرهم، وانتظاره لهذا الطبيب البغدادي. نظروا إلى قائدهم، الذي اتخذ القرار سريعاً، فأشار إليهم، فأحاطوا بالرازي، وأوثقوه جيداً مع خادمه، ثم حملوه إلى القارب وهو يصرخ معترضاً، ورئيس الجند يعتذر إليه.

استقرّ الرازي في قعر القارب، الذي راح يتلوى على أمواجه المتحركة بفعل رياح خفيفة، تهب من جهة الشمال. ووصلوا إلى الضفة الأخرى، والرازي يبدي تأفّفه من هذه المعاملة.

على الضفة الأخرى، كرر الجنود اعتذارهم، وهم يمدّون بساطاً ثم سماطاً وضعوا عليه أفخم الطعام، وتباروا في خدمة الطبيب الجليل الذي لزم الصمت، ومن ثم أحضروا حصاناً مطهماً



ركبه الرازي، وتبعه خادمه على حصان أحد الجنود، ومضوا بهما
إلى مدينة "الصغد".



تفحص الرازي ركبتي الأمير، وتمتم:

- قد يطول العلاج بعض الوقت.

تساءل الوزير الذي راقب الموقف عن كئيب:

- أنت أمهر الأطباء، لماذا يطول العلاج؟

- إنها حالة التهاب شديدة في المفاصل، وتستلزم بعض

الوقت، حتى يبرأ الألم. عموماً، سأعطيه عدة عقاقير، ونلاحظ
الألم.

هتف الملك بفروغ صبر:



- لا بأس، لقد اعتدت على ذلك، ولم أعد أسأم من هذا الكلام.

راح الرازي - في صمت - يعدّ بعض العقاقير، وكان خادمه يساعده، وعندما خرج الوزير، تمتم الرازي:

- بالرغم من كرمهم معي، إلا أن إلقائي موثوقا في القارب أمانني.



- مولاي الملك، لم تعد أمامي إلا طريقة واحدة، وسيحدث الشفاء إن شاء الله.

ابتسم الملك، لقد شعر أن الرازي بذل كل ما في وسعه معه خلال الأيام القليلة الماضية، وأعطاه العديد من الأدوية والدهانات،



ورآه يسهر الليل معه، يتابع حالته، ويرقب مدى تحسنه. قال
الملك:

- ماذا عندك أيها الطبيب؟
- غدا سأجرب طريقة جديدة، ولكنها ستكلفك خير
حصان وخير بغل في حظائك.
- لا بأس من ذلك، سأمر بتلبية كل طلباتك.



في اليوم التالي، ذهب الرازي مع الأمير إلى حمام ساخن
خارج المدينة، حيث كان الحرس يحملونه، لعدم قدرته على السير،
وتبعهم خادم الرازي، ومعه الحصان والبغل، وقد أسرجهما
وأجمهما، ودخل الرازي الحمام مع الأمير وخدمه الذين بدلوا ثيابه،
ليلبس ثيابا خفيفة تتاسب الحمام، ثم أدخلوه إلى الغرفة الساخنة،



وانصرفوا عنه، فاقترب منه الرازي، ووضعه تحت الصنبور الساخن عدة مرات، وسقاه جرعة دواء كان قد أعدها له. ثم خرج الطبيب، وارتدى ثيابه، وعاد ثانية إلى الأمير، ومعه سكين، وراح يهدد الأمير بالسكين ويقول له:

- أيها الأمير، لقد أمرت رجالك بتقيدي، وإلقائي في القارب، وسوف أقتلك جزاء ما فعله بي رجالك.

استشاط الأمير غضبا وثورة، وخاف من السكين المشهر في وجهه، فهبّ واقفا منتصبا على قدميه، ووجهه محمر، وحاول الهجوم على الرازي، ولكن الأخير أسرع بالفرار إلى خارج الحمام، وكان الخادم بانتظاره، فركب الحصان، وركب خادمه البغل، وانطلقا بأقصى سرعة هاربين، حتى وصلا النهر، حيث استأجرا قاربا عبرا به النهر، ثم اختبئا في مدينة مرو.



تعجب الحراس عندما وجدوا أميرهم ماشيا على قدميه، شبه
عار، وهو يصرخ أن يلحقوا بالطبيب، إلا أنهم صرخوا فرحين:
- حمد لله على سلامتك أيها الأمير.

انتبه الأمير، لقد كان ماشيا على قدميه، فارتدى ثيابه، وعاد
إلى قصره، وهو غير مصدق أنه عاد للسير بعد سنوات من
العجز، وحين دخل عليه الوزير في اليوم التالي، قال الأمير وقد
هدأ كثيرا:

- انظر يا وزيرتي، ها أنا أسير على قدمي ّ.
- إننا نبحث عن الرازي في كل مكان، وسنجده حتى نعاقبه
على ما فعل بكم يا مولاي، إنه يستحق العقاب الشديد.
- لا، إنه يستحق المكافأة العظيمة، ابحثوا عنه، أريده بأي
طريقة.



بعد أسبوع، عاد خادم الرازي، ومعه الحصان والبغل، وسلّم

رسالة إلى الأمير، جاء فيها:

" سيدي الأمير، سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

أدعو الله أن يحفظك، ويجنبك كل شر، وأن يمتك بالصحة

والعافية، أن يتم شفاءه عليك.

سيدي الأمير، عندما فحصتُ مرضك وجدت أن علاجك

سيطول كثيرا بالسبل العادية، لذا قررت العدول عن هذه السبل،

إلى الطريقة الغربية التي اتبعتها معك ؛ لقد تعمدت استئارتك

وتهديدك بالسكين، حتى تقاوم بنفسك العجز، وتحاول أن تدافع عن

نفسك، وعندما وقفت أمام عينيّ، عرفت أن الشفاء قد أصابك،

وهذا هو مرادك.

سيدي الأمير..، ليس من الخير أن نلتقي بعد الآن "



طوى الأمير الرسالة، وتطلع إلى الخادم، وقد وقف رجال

الحاشية حوله، قال الأمير:

- أبلغ الطبيب العظيم الرازي مودتي وشكري، وقد أمرنا له

بالخُلع والهدايا، وقررنا أن نجري عليه رزقا سنويا مقداره ألفا دينار

ذهبا، وجمُل مائتي حمار محملة بالقمح، فاغدُ أيها الغلام، وخذ

لسيّدك ما أمرنا به من بيت المال.



الرازي والشاب المتقيئ



بدا على الشاب الهزال وهو يقف أمام الرازي، ويقول في ألم:

- أغثني أيها الطبيب العظيم، أكاد أهلك، وأموت.

ابتسم الرازي، وتمتم بكلمات الترحيب بالشاب، الذي كاد يسقط

من الإعياء، وسأله بحنو: ماذا بك يا بني؟

- إنني أتقيأ دما يا سيدي.

بهدهوء وقف الرازي، وراح يتأمل جسد الشاب، ثم فوجئ به يتقيأ

دما أمامه، فأسرع يعاين قيئه، كان دما قانيا من جوفه. " يا له من

مرض!، واصل الرازي الفحص، ففحص بوله جيدا، وتأمل جسده،

لا ورم، ولا التهاب في الصدر، ولا أي شيء. بان الأسف على

وجه الرازي، وقال:

- حتى الآن، لا توجد علّة واضحة أعرفها يا بني.

بهت الشاب من الكلمات التي تفوّه بها الرازي، وأجهش باكيا:



- لا يمكن أن أصدق هذا، إذا لم يستطع الرازي
علاجي، وهو من هو في الطب، فلا سبيل إلى الشفاء...، إنك
أمهر الأطباء في دنيانا، فإذا كنت تقول ذلك، فيوسع النسوة
النائحات أن يولولن عليّ.

- هونّ عليك يا أخي، إنما الشفاء من الله، ونحن
أسباب له، والله لن أخذك

ارتفع نشيج الشاب، فرق قلب الرازي، وهتف به:

- لقد أخبرتني أنك كنت في سفر، فاذا لي: ماذا كنت
تأكل وتشرب في الطريق. أريد كل شيء تفصيلاً.

انتبه الشاب، وتماسك مع نظرات الرازي المطمئنة، والتي تشي
بكثير من الثقة:



- نعم، إنني عائد من سفر طويل، وقد كنت أكل وأشرب من الطريق.

- ماذا أكلت تحديداً؟

- على ما أذكر، لم أكل إلا من طعام طيب كان خدمي يحملونه معهم... فلا أذكر أنني أكلت طعاماً في الطريق عبثاً، وأنا دقيق فيما آكله.

غمغم الرازي مبتسماً:

- إذن، لا سبيل أمامنا إلا الشراب، تذكر ماذا كنت تشرب؟

انتبه خادم للشاب، وقال:

- نعم سيدي الطبيب، كنا نشرب من الآبار التي في الطريق.

استجمع الشاب ذاكرته، وضافت عيناه، وقال:



- الآن تذكرت سيدي، لقد شربنا مرات من مياه
الغدران، وذات مرة لم نجد إلا ماء المستنقعات فشرينا منه.
سكت الرازي، وطال سكوته، وعيون من حوله تراقبه في قلق،
ثم قال:

- أخي الحبيب، إذا جئتَ غدا فسأعالجك ولن أتركك
حتى تبرأ، ولكنني أشرت عليك أن تأمر خدمك بطاعتي في كل ما
أمرهم به.

- وهذا لك أيها الطبيب العظيم.

وتوجه الشاب نحو خدمه قائلاً:

- لَبُوا كل ما يطلبه منكم الطبيب.

فأحنى الخدم رؤوسهم طائعين، فتقدم منهم الرازي هامساً:

- هل تعرفون نبات شبيهة العجوز؟



- نعم يا سيدنا.

- حسنا، أحضروا لي وعاءين مملوئين منها غدا إن

شاء الله، أما أنت أيها الشاب، فعليك أن تكون معدتك خاوية

صباح الغد.



كانت " شبية العجوز " طحلبا مائيا، وقد أحضر الخدم

الوعاءين، ووضعوهما أمام الرازي، الذي قال بحزم:

- هيا يا أخي، كل هذه الطحالب واحشو بها معدتك.

نظر الشاب إلى الطحالب الخضراء، ما أقسى منظرها! فما باله

بطعمها! تردد الشاب قليلا، ولكن حزم الرازي دفعه إلى أن

يمضغها وهو يتأفف. وكلما توقف، أشار له الرازي أن يواصل

الأكل، حتى صرخ الشاب:



- لقد امتلأ جوفي كله، ولم أعد قادراً على المزيد.
- لا، لا يزال هناك المزيد...، ألم نتفق أن نتفقد ما أقوله لك.
- كفى، كفى أيها الطبيب.
- تقدم الرازي منه، وأمسك كمية من الطحالب، وراح يدسها في فم الشاب الذي كتم تأوهاتة، وازدرد على مضض حتى انفجر واقفاً، ممسكاً بطنه، ثم انحنى ليتقيأ، فأفسحوا له مكاناً، وقادوه إلى زاوية في المكان.
- يا إلهي، إن بطنه مستودع للطحالب.
- هكذا قال أحد الخدم، وهو يراقب سيده يفرغ ما في بطنه، والرازي من خلفه يستحثه على المزيد، ويفحص ما يفرغ.
- هيا، لا تترك شيئاً في معدتك، هيا.



أفرغ الشاب ما في بطنه، ثم توقف الرازي أمام بقايا طحلب

خرجت به علقّة:

- انظر يا أخي، هذه سبب العلة.

تأمل الشاب ما أمامه: كانت زائدة دودية صغيرة، معلقة في

الطحلب.

- هذه العلقّة الدموية شربتها من أحد المستنقعات

المائية الراكدة في طريقك، فتسربت إلى بطنك، والتصقت بمعدتك،

وظلّت بها تدمي معدتك، وهي تتغذى على الطحالب، فلما وجدت

الطحلب، تعلقت به، فلما تقيأت، خرجت متعلقة في طحلبها.

وقف الشاب من ساعته، وهو يقول:

- لله درك أيها الطبيب العظيم، يا أمير الأطباء، ومنقذ

الناس، لا أملك إلا الشكر لله على ما أعطانا من رجل مثلك.



أ. د. مصطفى عطية جمعة



أستاذ الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي،

والإسلاميات والحضارة، وقاص وروائي ومسرحي.



الأعمال المنشورة للفتيان والأطفال:

-على متن محطة فضائية، رواية للأطفال، منشورات

مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، 2012م.

- سفينة العطش، مسرحية للأطفال، منشورات مكتب

التربية لدول الخليج العربي، الرياض، 2012م.

- أصدقاء في عالم الفضاء، رواية للفتيان، وكالة

الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، 2023، ط2، وصدرت

الطبعة الأولى بعنوان: رواد فضاء الغد، أطفال، منتدى الأدب

الإسلامي، الكويت، 2014م.



- لكل جواب قصة، مسرحيات للأطفال، منتدى الأدب

الإسلامي، الكويت، 2014م.

- جزيرة الفئران، مسرحيات للأطفال واليافاعين، دار

المتقف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2023.

-الحسن بن علي، رواية للأطفال واليافاعين، دار المتقف

للنشر والتوزيع، القاهرة، 2023.

-البرتقالة في الزجاجة، مجموعة قصصية للأطفال

واليافاعين، دار المتقف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2023.

- صندوق الألعاب، مجموعة قصصية للأطفال، دار

المتقف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2023.



-الفقر مقتولا: قصة البروفيسور محمد يونس وحره ضد

الفقر في بلاده، قصة للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع،

القاهرة، 2024.

-رحيق الألم: قصة حياة "لي ميونغ باك" رئيس كوريا

الجنوبية، رواية للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة

2024.

-المتسابقون للفردوس، مسرحيات للفتيان، دار المثقف

للنشر والتوزيع، القاهرة، 2024.

- كنتُ ملحدًا: سيرة العالم الأمريكي جيفري لانغ، قصة

للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2024.



- حذاء منال، مجموعة قصصية للفتيان، دار متون

المنقف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2025.

-وليمة الطيور، مسرحيات للأطفال ومسرح العرائس، دار

متون المنقف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2025.

- كهرباء بلا أسلاك، قصص للفتيان، دار متون المنقف

للنشر والتوزيع، القاهرة، 2025.



محتويات الكتاب

4..... كهرباء بلا أسلاك

18..... دهاء العناكب

20..... العنكبوت النساجة

22..... عنكبوت الشبكة الذهبية

25..... الضفدع آكل العناكب

27..... العنكبوت الشانك

29..... عنكبوت السرطان

31..... الرسّام فاقد البصر



الرازي ومستشفى بغداد 52

الرازي وأمير بلاد الصغد 70

الرازي والشاب المتقي 83



كهرباء بلا أسلاك



رفع مارين بصره، وتأمل المصباح الذي يشع ضوءاً خافتاً، كانت صورة منزل المستقبل تتخيل أمام عينيه : منزل دون أسلاك، فقط هوائي كبير أعلى المنزل، وسائر الأجهزة في المنزل تعمل تلقائياً، وفي كل مكان، ومتى أراد.



متون المثقف